

السبت 10 تشرين الثاني 2012 - السنة 80 - العدد 24904

أولى سياسة إقتصاد مدنيات مقالات رياضة منوعات الدفترالثالث
للبحث...

آخر الأخبار

أحدث الأخبار الأكثر قراءة في الملحق

09:59

مقتل 17 جنديا تركيا في تحطم هليكوبتر بسبب سوء الاحوال الجوية

Like 0 Tweet 0

تعليقات (0) طبع البريد

09:59

مقتل مدنيان عراقيان وإصابة أربعة من عائلة واحدة شمال محافظة بابل

09:58

مسلحون يقتلون زعيما قريبا بمقديشو

09:56

ماليزيا تدين إستهداف قوات حفظ السلام وتؤكد إلتزامها بتحقيق السلام العالمي

الملحق
يوسف المنيلوي مطرب النهضة العربية

يوسف المنيلوي.

عناوين أخرى

لو أنا رئيس الجمهورية

لا تريد بيروت سوى أن تكون قصيدة

عبد العال مجدداً: تعليق على توضيح

الاستهلاك "المتكشف" للنخبة الطالبية في شارع بلس

الرجل وظلّه يحلمان بلقاء إبليس

إهداءات

المطربة الملكية

نُسيتُ

جريمة

بل هو يعرف

الشاطر

فادي العبد الله
2012-11-10

زكريا أحمد.



عبد الحمولي.



محمد عثمان.

تحت عنوان موج بالأكاديمية، "يوسف المنيلوي مطرب النهضة العربية. عصره وفنه"، يقدم الثلاثي فريدريك لاغرانج ومحسن صوه ومصطفى سعيد كتاباً يفي مضمونه بوعد العنوان، فكأن عصر المنيلوي قد نُشرَ أمامنا، بعد قرن كامل على وفاته، وكأن أفانين غنائه عثرت على لسان فصيح يبلغ عنها ما أدته، ويؤبّ أصناف ما تتضمنه الأقراص العشرة المدمجة التي يصاحبها.

يعرض الكتاب لحياة المنيلوي ومجايليه من كبار المطربين والموسيقين، لكنه أيضاً موسوعة في الآلات المستعملة آنذاك، ومراجعة دقيقة وتفصيلية للمواد المسجلة على الأسطوانات العشر المدمجة. كما يقدم تاريخاً وافياً للتطور الاجتماعي والتاريخي والاقتصادي الذي أثر في فن الغناء والطرب خلال نصف قرن، بين آخر التاسع عشر وأول العشرين. كذلك يعرض الكتاب لمدرسة النهضة الموسيقية في مصر الخديوية ولأبرز خصائصها، ويتناول التغيير الذي أصاب أماكن أداء الموسيقى الراقية من صالات القصور والبيوت المترفة أو المساجد، إلى المقاهي والسرادات العامة وصولاً إلى الاستماع المفرد في البيوت، والمواقيت التي تُسمع فيها من الأفراح والمناسبات الكبرى إلى مناسبات أكثر خصوصية وأكثر انتظاماً في الحدائق والصالات.

يلاحظ القارئ العلاقة بين هذه التغييرات وطبيعة الفن الموسيقي نفسه، وأثر الأسطوانة، كوسيط يسمح بتغيير مكان الموسيقى وميقاتها قبل حلول الإذاعات، في تقسيم الوصلة الغنائية وإبراز أجزاءها منفردة بعدما كانت تُسجل متواصلة على أسطوانات عدة. فلما عادت الإذاعة، استمعنا من جديد إلى نظام الوصلة مع صالح عبد الحي وعباس البليدي مثلاً، قبل أن يندثر فن الوصلة والأدوار نهائياً، وتبقى منه جثته المحنطة في أداء فرق الموسيقى العربية.

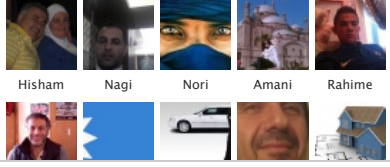
غير أن عاملاً آخر لعب دوراً موازياً إن لم يكن أكثر أهمية في فننا الموسيقي، هو العامل القانوني بعدما بات للشركات المنتجة حقوق حصرية على الأغنيات، ما أنتج بالتوازي مهنة "الملحن" فاصلاً إياها عن المطرب، ومغيراً قواعد العلاقة بين هذين، كما قواعد الأداء نفسه، بحيث باتت حصة المطرب من الارتجال أقل فأقل حتى كادت تنحصر في الزخرفة الأدائية فحسب. بل إن مطرباً ملحنًا كعبد الوهاب لم يكسر القاعدة بل أكدها حتى أن مواويله تكاد تكون ملحنة بتفاصيلها، علماً بأن الموأل هو

Retrouvez-nous sur Facebook

Annahar Newspaper | جريدة النهار

J'aime

32,905 personnes aiment Annahar Newspaper | جريدة النهار.



Module social Facebook

@Annahar

Tweets and Mentions

15march11 @Annahar: المدعي العام السابق للمحكمة الجنائية الدولية يقترح إصدار مذكرة توقيف ضد الأسد #Syria #Annahar 31 seconds ago · reply · retweet · favorite 31

new tweet 1

syriano100 RT @Annahar: السوري: تفجير سيارتين بدرعا وسقوط ضحايا #Lebanon #Syria 54 seconds ago · reply · retweet · favorite 54



Join the conversation

أرشيف

القالب الذي يفترض أن يبرز فيه المطرب قدرته على الارتجال والصياغة اللحنية والسير المقامي.

إشكاليات البحث في المدرسة الخديوية

أحد مصادر المتعة في الكتاب اقتراحه، صراحةً أو ضمناً، إشكاليات متعددة، وإن لم تتوفر دوماً حلول سريعة لها، منها إشكاليات مفهومية، لجهة الحديث عن "الموسيقى العربية" أو "النهضة العربية"، في حين أنه ينحصر واقعياً في الموسيقى المصرية الخديوية، التي أثمرت من دون شك لاحقاً في موسيقى الشوام (مغتو حلب وطرابلس مثلاً) وبدرجة أقل تونس (اثر انتقال الشيخ امين حسنين إليها)، لكن موسيقات العرب لا يجوزها على الأفراد لشدة تنوعها بين الارث الأندلسي في المغرب، مروراً بأنماط الموسيقى الشعبية العربية والبربرية هناك، مروراً بالملامح الافريقية والهندية التي تمتاز موسيقات السودان والخليج العربي، من دون اغفال خصوصيات الموسيقى العراقية ومقامها أو تعلق السوريين بالفواصل والموشحات.

إشكالية أخرى يطرحها الكتاب، من دون تقديم حل، هي مضلة "النهضة" ذاتها موسيقياً. فلئن ارتبطت موسيقى هذه النهضة بمحمد عثمان وعبد الحمولي، وهما صلب المدرسة التي رعتها الأسرة الخديوية في مصر، فإن بعض مقالات الكتاب يحدها افتراض أن هذه المدرسة الخديوية شكّلت انقطاعاً عن الموسيقى المصرية السابقة عليها التي اتسمت ببساطة في التركيب وضالة في عدد المقامات المستعملة وبطابع ديني طاغ. غير أن لهذا الافتراض ميزة التبسيط دون فضل الدقة، ذاك أن الموسيقى الخديوية نمت تحديداً من رحم الموسيقى الدينية، وفي سيرة يوسف المنيلاوي شاهد على ذلك كما في بنية الدور، لجهة مقطع الهنك والرنك (أي الرد والترديد ما بين المطرب والبطانة أو المذهبجية) المنسوج من طريقة أداء التواشيع الدينية والمستدخل تالياً إلى الغناء الديني. أما دعوى أن الموسيقى المصرية كانت فقيرة بالمقامات وأن عبد الحمولي عاد من الأستانة بمقامات جديدة، بينها أساسيات موسيقى النهضة نفسها، فدعوى تناقضها مراجعة "سفينة الفلك ونفيسة الملك" للشيخ شهاب الدين، الأقدم بعشرات السنين من المدرسة الخديوية.

الحديث عن المدرسة الخديوية نفسها متشعب وشائك، ذاك أن افتراضاً يصاحبه هو أن الأسرة الخديوية، بعد قرن تقريباً على استقلال محمد علي بمصر، كانت على منافسة مع الأستانة في حين أنها كانت تسمع الموسيقى العثمانية، ثم الأوروبية في مرحلة لاحقة، وأنها أرادت توطيد الاستقلال والمنافسة بتطعيم الغناء المصري بالموسيقى العثمانية (هذا الافتراض يبرر، نظرياً، للحكاية القومية عن تخلص سيد درويش للموسيقى المصرية من عجمتها العثمانية!). غير أن من الجائر التساؤل عن حقيقة هذا الاستماع المتواصل إلى موسيقى عثمانية بعد قرن من الانفصال عنها، ومن الانخراط في مشروع تحديتي يجعل الآخر الذي تسعى مصر إلى منافسته هو أوروبا لا الأستانة التي كانت إلى تراجع وانهايار. ولئن صحّ هذا الافتراض، وهو بعيد، في شأن الأسرة الحاكمة نفسها، فما كانت حال عامة الناس من ميسوري الحال، وليسوا كلهم من أصول تركية، الذين كانوا يشكلون شريحة كبرى من مستمعي المطربين؟ ولئن كانت هذه الذائقة المستوحاة من الموسيقى العثمانية حقيقة، فكيف تأتّى أن تلقى الاسطوانات رواجاً هائلاً حتى في الأرياف، على ما تروي سيرة أم كلثوم حين تتشرب الغناء من صوت أبي العلا محمد المنبعث من الاسطوانات؟ في ظني أن عناصر التواصل بين الموسيقى الدينية والتقليدية في مصر، ظلت أوضح وأغزر من أن تظللها تأثيرات عثمانية، إلى أن غلبت عليها استحياءات أوروبية، مع سيد درويش ومن ثم عبد الوهاب من حيث التوق إلى الاوركسترا والتوزيع الموسيقي ومن ثم في الأداء الغنائي واستدخال الآلات الغربية. في العلاقة مع الغرب نشهد مثل هذا التأثير الواضح والسريع، ولا نجد له موازياً في العلاقة مع الموسيقى العثمانية.

بعض ما يؤخذ على الكتاب عدم توضيح الفوارق بين المدارس المختلفة (الخديوية، التركية، الصوفية، الشامية)، وبعض النقلات الأسلوبية المفاجئة حين يتداخل أسلوبا كاتبين مختلفين في نص واحد، فضلاً عن اللجوء إلى مصادر غير مطبوعة هي، على رغم أهميتها، غير متوافرة للقارئ العادي ولا حتى للباحث الذي قد يرغب في استكمال إلمامه بهذا الموضوع. وما إشارتنا إلى هذا المأخذ سوى دعوة إلى مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية كي تستكمل عملها أيضاً بنشر هذه المصادر غير المطبوعة، من أطروحات دكتوراه وماجستير وغير ذلك.

فراة الكتاب وابتكاراته

يدعونا الكتاب إلى دفع ضريبة الاستئناس مع أصوات تلك الحقبة، بما في ذلك صوت المنيلاوي، "العذب"، في مفهوم يغاير الميوعة والنعومة التي بتنا نعتبرها مرادفة للعذوبة. إذ لا يسع الأذن المستغربة أن تتلقى ذلك الفن من دون معايشة ومكابدة وصولاً إلى الالفة فالأنس به، وذلك في الواقع شأننا مع كل جديد خارج على السائد

والمألوف. غير أن لكل امرئ دربه أو عطشه الذي قد يقوده إلى تلك الموسيقى من باب موارب، سواء أكان باب المعرفة الموسيقية أم التعمق المقامي أم البحث عن النواير أم عشق القصائد المغناة وغير ذلك غزير. قد ندخل إلى تلك الموسيقى من أي باب، لكن الإقامة معها تتطلب جهداً ووقتاً.

تضيف أنها تحتاج أيضاً إلى معرفة وإلمام، غير أننا سريعاً ما نتراجع عن مثل هذا التوكيد. ذلك أن المعرفة ليست شرطاً للمتعة ولا للطرب. قدرة الأداء الطربي وخفته وتلاعبه بالإيقاع والنغم والكلم، لا تحتاج إلى المرور بمصفاة المعرفة والذهن كي تخترق مشاعر المستمع، الذي دفع ضريبة الاستثناس، وتدفعه إلى حافة الطرب. غير أن المعرفة بعيدة عن أن تعوق الطرب، خلافاً لما يحسب بعض "الطبيعانيين" الذين يفترضون الذائقات ملقاة على الطرق، لم يشكّلها تاريخ ولا ينبغي لمعرفة أن تلونها. المعرفة الموسيقية، إذ لم نشأ استخدامها لإنتاج الموسيقى نفسها، هي مصدر ثانٍ غني للمتعة ضافية وإضافية. شعور الطرب يتضاعف بها، ولا يتضاءل، إذ تضيف إلى الطرب الحسي طرباً معرفياً، وتجعل المرء يهتز مرتين، ولهاً وانهاراً.

في هذا المعنى تحديداً قد يكون الكتاب فاتحة أفق جديد في تناول الموسيقى العربية، إذ لا يكتفي بتناول نظري لمفاهيم المقام والارتجال والقوال، بل يقوم بشرح تفصيلي وعملي لها على مجموعة واسعة من التسجيلات، وهو أمر يكاد يكون غير مسبوق، خصوصاً لناحية تتبع العلاقة بين الارتجال والبنية العامة للغناء، حيث يبرهن الكتاب على هذه القطبية، التي قد ندعوها بالسائلة أو المتأرجحة، ما بين الارتجال الحر الطليق وانضباطه في "خطة نغمية" واضحة ترسم معالمها بنية تتصادى فيها الإشارات واللحاحات المقامية والنغمية فضلاً عن التلاعب بمخارج الحروف ومخارج الصوت. بل إن الكتاب يقدم على اعتماد مصطلحات مخصوصة لرصد هذا التفاعل بين الزخرفة والارتجال، وبين الارتجال والبنية العامة للقالب المؤدى أو للتسجيل المخصوص، ساعياً إلى تعقل هذه التقنيات الصوتية والغنائية والمقامية معاً.

هكذا يقترح الكتاب استخدام مصطلحات "الومضة" و"الاستطراد" و"الترصيع" أو "التوشيح"، ناهيك بـ"الغنجة" و"الانزلاق النغمي" وسوى ذلك كـ"القفلة المخالطة" و"القفلة المعلقة" أو "الوسيط"، وكذلك القسم التطبيقي من الكتاب حيث تستخدم هذه المصطلحات عملياً في وصف أداء المنيلاوي وتبيان حالوته وفرادته.

قد يتساءل المرء، ما الفائدة من كل هذا الجهد المبذول على موسيقى منقرضة. إن المقارنة السهلة بالموسيقى الأوروبية الكلاسيكية غير مجدية في واقع الحال، فهذه الأخيرة وإن كانت لا تزال تعزف في المسارح والمناسبات، غير أنها باتت موسيقى لا يضاف إليها شيء، بل يتكرر أداؤها على تفاوت المؤدّين وقراءاتهم لها، إنما في حدود بالغة الضيق، وهذا ما يخالف جوهر الموسيقى الشرقية نفسه لجهة كونها تنطلق بالحرية وتتجدد بالارتجال. إن اللجوء إلى التمسك بهذه الموسيقى لناحية المحافظة على الهوية وأصالتها رهان خاسر لأسباب عدة، أبسطها أن ما من موسيقى (أو موسيقات) عربية خالصة لم تخالطها في الأداء والمصطلحات مؤثرات خارجية من كل النواحي ويخالطها في التنظير أثر يوناني قديم وأوروبي محدث. قد يكون من الأولى إذأ الحرص على هذه الموسيقى من ناحية كونها مصدراً لموارد قادرة على الإخصاب والتلاقح مع غيرها لتوفير إنتاج جديد لا يتوقف عند جمود القيم والهويات والاختلافات الحضارية. بدل ذلك، لنستمع إلى المنيلاوي ولنتأمل كيف يمكننا أن نطعم موسيقى اليوم بتقنياته وأفكاره، وكيف يمكن هذا التلاقح أن يمضي بنا نحو طرب جديد غير مسموع، يكون التعبير الأصدق عن روح تلك الموسيقى الطربية الحرة والمتجددة.

Like 0 Tweet 0

تعليقات (0) طبع البريد

تعليقات (0)

اسم المستخدم

إكتب ملاحظة

ارسال

iPad Edition

تابع جديدنا

خدمات



مفكرة اعلانات موبية وظائف شاغرة